المحور الثاني: الأحزاب السياسية Les partis politiques

أولا: ظهور الأحزاب السياسية وتطورها

تعتبر فكرة الأحزاب قديمة، حيث تطورت بالتوازي مع تطور مفهوم الدولة وتطور الحياة السياسية، وتعود أصولها إلى الحضارات القديمة، ففي أي مجتمع أو امة قوى جماعية توجهها وتؤثر فيها وفي سياستها، وتظهر في شكل تكتل. ولقد عرفت في اليونان القديمة مع إصلاحات المفكر صولون لينقسم المجتمع بين مؤيد ومعارض لإصلاحاته.

إلا أنه رغم ذلك تبقى الظاهرة الحزبية جديدة نسبيا حيث تختلف عن التكتلات القديمة، وتعود للصراع السياسي القائم في بريطانيا خلال القرن 17، بين المؤيدين للملك والمؤيدين للبرلمان، وبانتصار البرلمان وفرضه لسيادته، انقسم أعضاؤه بين مؤيدين للسلطة الملكية ويدعون Tories والذين عارضوا الإصلاحات والتغيير(المحافظين) وبين مؤيدين لتوسيع صلاحيات البرلمان، والداعين للإصلاحات ويدعون Whigs، إلا أن التجمعان لم يكون حزبين سياسيين بالمعنى الحديث،، فلقد تم وضع أسس الأحزاب السياسية التي ظهرت في القرن 19 مع توسع القاعدة الانتخابية واهتمام البرلمانيون بكسب الدعم الشعبي ومنه الحصول على الأصوات، فالأحزاب ظهرت كتنظيم مع توسع الحق في الانتخاب الشعبي وتطور الانقسام السياسي في بريطانيا في القرن 19 والذي أصبح بين الليبراليين les libéraux (مكان Whigs) و المحافظين les conservateurs(مكان Tories)، وفي بداية القرن 20 حل محل الليبراليين حزب العمال les travailleursليقود الحركة الليبرالية في بريطانيا. ثم بعده توسع ظهور الأحزاب في القرن 20 في معظم أوروبا خاصة بعد الحرب العالمية الثانية.

ثانيا تعريف الأحزاب السياسية

أ- المعنى اللغوي

- الحزب

في لسان العرب لابن منظور يعني الحزب النوبة والحصة وكما يعني الطائفة والسلاح والجماعة.

وفي الإسلام فلقد سمي بالحزب الذين تظاهروا على النبي عليه السلام بالعداوة وحاربوه في موقعة الأحزاب (كما ورد في سورة الأحزاب).

أما في قاموس "تاج العروس" لمحمد مرتضي الزبيدي فيدل على "من هم على رأي واحد"، فهي جمع من الناس ، وتعني كذلك الاعتياد على فعل شيء ما.

- السياسي

هو من السياسة والتي تعني القيام على الشيء بما يصلحه " كما تعني الرياسة.

المعنى الاصطلاحي

لقد اختلفت التعاريف الواردة عن الأحزاب باختلاف الأساس المنطلق منه، فالبعض يركز على الجانب التنظيمي والبعض على الجانب الإيديولوجي. من هذه التعاريف:

تعريف موريس دوفرجي Maurice Duverger" الحزب تجمع من المواطنين يلتفون حول نظام واحد" ويركز بذلك على الجانب التنظيمي.

أما جون ماري دانكان J M Denquin فيعرفه على أنه" جماعة منظمة تهدف إلى الحصول على التأييد الشعبي وتتميز بشكل واضح عن جماعات المصالح" ، ونرى كذلك أن هذا التعريف يركز على الجانب التنظيمي.

في حين يعرفه بنجامين كونستانت Benjamin Canstantعلى أنه" جماعة من الناس تعتنق اتجاها سياسيا معينا".

وفي تعريف موريس هوريو Maurice Houriou يقول" أنه منظمة تعمل لخدمة فكرة ما"، أما كارل ماركس فيعرفه على أنه" التعبير السياسي للطبقات الاجتماعية المختلفة". حيث يركزون بذلك على الإيديولوجية.

ويعرفه أندري هوريو André Houriou بشكل أكثر توضيحا على أنه" تنظيم دائم يتحرك على مستوى وطني ومحلي من أجل الحصول على التأييد الشعبي بهدف الوصول إلى ممارسة السلطة لتحقيق سياسة معينة".

ثالثا: خصائص الحزب

بالنسبة لجوزيف لابلامبارا Joseph Lapalambra و وينر Weinerفيتسم الحزب الخصائص التالية:

أ- استمرارية التنظيم: اي أن يستمر الحزب حتى بعد انتهاء حياة مؤسسيه.
ب- تنظيم وطني: أن يمتد من العاصمة إلى أصغر وحدة إدارية.
ج- رغبة الحزب في الوصول إلى السلطة: فهدفه ممارسة السلطة أو المشاركة فيها أو التأثير عليها.
د- البحث عن مساندة شعبية: وهذا يكون بالدخول وخوض المعارك الانتخابية.

رابعا: نشأة الأحزاب

بدأت الأحزاب تظهر في أغلب دول العالم بعد سنة 1950 أي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، ويعود ذلك لانتشار الأفكار التحررية ، وقبل ذلك لم تكن الأحزاب بالمفهوم الحديث موجودة، حيث إلى غاية سنة 1850 لم تعرفها أي دولة باستثناء الولايات المتحدة، ولقد ميز موريس دوفرجيه بين نوعين من النشأة وهما:

أ- النشأة داخل البرلمان: وهي الأحزاب ذات الأصل البرلماني واقترنت نشأتها باستقلال المجالس النيابية عن الحكومات وتوسع الاقتراع العام، مما أدى بأعضاء البرلمان إلى التكتل في لجان برلمانية والاتصال بالناخبين للحصول على أصواتهم ، لهذا سميت بنشأة داخل البرلمان.
ب- النشأة خارج البرلمان: حيث هناك من الأحزاب من نشأت خارج البرلمان إما عن طريق نقابات مهنية أو جمعيات، ومنها من نشأ لعوامل دينية مذهبية، وأخرى نشأت بتأثير جهات خارجية أجنبية.

خامسا: وظائف الأحزاب السياسية

أ- تكوين المواطنين سياسيا: حيث تكوّن الأحزاب الثقافة السياسية للأفراد وتساعدهم خلال مناقشاتها، من خلال وسائل الإعلام، على فهم القضايا السياسية والحكم عليها.
ب- توجيه الرأي العام: حيث تستجمع الأحزاب الآراء المتفرقة وتبلورها في رأي عام واحد ليمثل اتجاها سياسيا موحدا وبذلك تكون قد كونت رأيا عاما.
ج- التعبير عن رغبات الشعب: حتى تتمكن الأحزاب من تكوين الرأي العام وتوجيهه والتحكم فيه لا بد أن تعبر عن رغباته، و من دون وجود الأحزاب لا تجد رغبات الأفراد كيفية لتنقل إلى السلطة الحاكمة لأن الفرد بمفرده ومنعزل لا يمكن له التأثير عليها، لهذا تقوم الأحزاب بالتنسيق بين وجهات نظر الحكام والمحكومين.
د- تكوين وانتقاء القادة والكوادر السياسية: حيث تعتبر الأحزاب كمدارس لتلقين وتعليم مبادئ ممارسة الحكم فهي من تختار من سوف يمثلها في المعارك الانتخابية حيث من يفوز فيها هو من سيمارس السلطة. كما أن الأحزاب تضم أشخاصا غير مترشحين للانتخابات فهؤلاء تعدهم وتعلمهم قواعد الحكم ، كما تختار المترشحين المؤهلين بمواصفات خاصة لكي يكونوا في الهيئة السياسية الحاكمة.
ه- تحقيق الاتصال بين الحكام والمحكومين: حيث يمكن للأفراد التأثير في النواب من خلال الحزب الذي ينتمون إليه، كما ينقل الحزب انشغالات المواطنين لنوابه.

و- رقابة أعمال الحكومة: حيث الحزب الفائز الحاصل على الأغلبية يتولى السلطة فيطبق برنامجه، في حين الأحزاب الأخرى والغير متحصلة على الأغلبية تراقبه لكشف أخطائه وتقديم البدائل عنه.
ز- تحقيق التداول السلمي على السلطة: حيث كلما تعددت الأحزاب كلما تعددت البرامج والبدائل، ووجود الأحزاب يضمن إمكانية إعطاء فرصة للبدائل بالطرق السلمية والتي هي الانتخابات، وهو ما يعزز الديمقراطية.

سادسا: أنواع الأحزاب السياسية

تعددت تصنيف الأحزاب لوجود عدّة معايير في ذلك والتي نذكر منها

1- التصنيف الإيديولوجي(التقليدي)
تقسم الأحزاب حسب هذا التصنيف إلى ثلاث أنواع
أ- أحزاب من التيار المحافظ Les conservateurs
ب- أحزاب من التيار الليبرالي Les libéraux
ج- أحزاب من التيار الاشتراكي Les socialistes
2- التصنيف الماركسي(الطبقي)
حيث تقسم حسب الانتماء الطبقي إلى نوعين
أ- حزب العمال Parti des travailleurs
ب- حزب البرجوازية Parti de la bourgeoisie
3- التصنيف البنيوي(الحديث)
أ- أحزاب الكوادر(الأطر) Parti des cadres : حيث عدد أعضائه قليل، وقيادته جماعية، تمويلها من أعضائها أي النخبة، نشاطها في المناسبات الانتخابية، وهي أحزاب ذات توجه رأسمالي، ليس لها برنامجا محددا، فهي براغماتية، وتوجد على نوعين هما:
- أحزاب أطر مرنة: انعدام الالتزام الحزبي لنوابه (مثل و م أ)
- أحزاب أطر جامدة: وجود التزام حزبي لنوابه(مثل بريطانيا)

ب- أحزاب الجماهير Parti des masses: وتسعى إلى جلب أكبر عدد من المنخرطين لكون تمويلها من المنخرطين فيه، وهي أحزاب مناهضة للرأسمالية وتدافع عن العمال ضد الرأسمالية، وتقسم بدورها إلى ثلاث أصناف هي:
- أحزاب جماهير مختصة: للعضو نشاط محدد
- أحزاب جماهير شمولية: العضو يتفرغ للنشاط الحزبي
- أحزاب غير مباشرة: العضو له عضوية مزدوجة في النقابة أو الجمعية وفي الحزب.

كما صنفها جون شارلو Jean Charlotحسب هذا المعيار إلى:

أ- أحزاب الأعيان: أعضاؤها نخبة وكوادر.
ب- أحزاب المناضلين: تعتمد على عدد المنخرطين.
ج- أحزاب التجمع: تهتم بالمناسبات الانتخابية فقط.

سابعا: أنواع النظم الحزبية

تقسم النظم الحزبية غلى:

أ- نظام الحزب الواحد système du parti unique : حيث يسمح القانون في بعض الأنظمة بوجود حزب واحد فقط، يمارس النشاط السياسي، ويبر أنظمته لذلك بأنه يحقق الوحدة الوطنية

ويقضي على الصراعات ويدفع بعجلة التنمية(مثل الحزب الفاشي والحزب النازي، والحزب الشيوعي في كوريا الشمالية والصين)

ب- نظام الثنائية الحزبية système de bipartis: حيث يسيطر في الأنظمة التي يسود فيها حزبان مع وجود أحزاب أخرى لا تؤدي أدوارا في الحياة السياسية. وتساهم الثنائية في استقرار النظام ومؤسسات الدولة وخلق التوازن وتحقيق التناوب على السلطة بانتظام(مثل و م أ وبريطانيا)

ج- التعددية الحزبية multipartisme: وتكون فيه ثلاث أحزاب أو أكثر تتنافس على السلطة، وتسمح بمنح عدّة خيارات للمواطنين، لكنها تؤدي إلى انقسام المجتمع(فرنسا مثلا)

د- تعددية مع هيمنة حزب واحد multipartisme avec domination d'un parti: يعترف القانون بالتعددية لكن في الواقع يسيطر حزب واحد في الحياة السياسية، وإن كان يساعد على الاستقرار الحكومي لكنه عقبة على التناوب على السلطة(حزب المؤتمر الهندي في الهند مثلا).

ثامنا: نقد الأحزاب السياسية

تؤدي الأحزاب إلى:

- تشتت وحدة الشعب
- اتجاهها لتفضيل مصالحها على حساب الشعب
- سيطرة زعمائها على الحزب
- تزييف الرأي العام لكسب تأييده
- تحقق عدم الاستقرار بسبب صراعاتها.